ثم نزلوا السماوة . قال (فى ١١ : ١٦٢) : اغارت حمير على بقية قضاعة فخيروهم بين ان يقيموا على خراج يدفعونه اليهم او يخرجوا عنهم فخرجوا وهم كلب وجرم والعلاف . وهم بنو ربان بن تغلب بن حلوان . وهو اول من عمل الرحال العلافية . وعلاف لقب ربان فلحقوا بالشام فاغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانهزموا فلحقوا بالسماوة فهى منازلهم الى اليوم . » اه .

٩ - اوصافهم حينما كانوا فى ديارهم

القبائل كالرجال لها من يمدحها ولها من يقدح بها . قال زيد الخيل يمدح بنى جرم عند الخليفة عمر : « جرم فوارس الغدرة ، وطلاعو نجوة ، ولا تحل لهم حبوة ، ولا تراع لهم ندوة ، ولا تدرك لهم نبوة ؛ عمود البلاد ، وحية كل واد ، واهل الاسل الحداد ، والخيل الجياد ، والطارف والتلاد . (عن الاغانى ١٦ : ٥٠) — وقال من يذمهم وهو حميد بن ثور الهلالى يكلم رجلين ارسلهما فى قضاء امر :

وقولا اذا جاوزتما ارض عامر وجاوزتما الحيين نهداً وخثعما
نزولان من جرم بن ربان انهم ابوا ان يميروا فى الهزاهز محجما

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء ص ٢٣١ من طبعة ليدن : امرهما ان ينسبا الى جرم لان العرب تأمنها لذلها ولا تخاف منها غارة . » اه .

١٠ - الخلاصة

هذا بعض ماوصلت اليه يدنا من التحقيق وهناك تفاصيل غير هذه وانما اجتزأنا بما ذكرنا حباً للاختصار . ونحن نقضى العجب من ان دائرة المعارف للبستانى ومعلمة الاسلام للمستشرق الافرنج ارباب الفنون المتخصصين لها لا تذكران شيئاً عن الجرامقة ولا عن جرم او بنى جرم او الجرميين او الاجرام مع انك رأيت خطورة هذا البحث ومنزلته من التاريخ مما وقفت عليه فى مطاوى هذه السطور . فعسى ان يعوض عن هذا النقص بما يفيد القوم فى الملحقين اللذين يدرج فيهما ما فات اولئك المؤلفين . هذا ما فى وطابنا ومن زادنا تحقيقاً زدناه شكراً .

الشيخ عثمان بن سند البصرى

Le Cheikh Othmân ben Sanad al-Bisry.

١ : مقدمة تمهيدية

من اجل القرون الاخيرة التي مرت على العراق وابهاها واحسنها وارقاها القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة . اذ قد شيد فيهما مدارس للعلم واندية الادب ومساجد للعباد وزوايا (تكايا) للزهاد . ونبغ فيهما من العلماء والشعراء والفضلاء والصلحاء الكثير كآل الحيدري وآل السويدي وآل الرحبي وآل الالوسي وآل الشاوي وآل العمري وآل القزويني وآل الطالقاني وآل الطباطبائي وآل الازري وآل الشيخ جعفر الكبير وآل بحر العلوم وآل الخنفاري وآل الطريحي وآل البحراني وآل الجزائري وآل عصفور وآل قفطون وآل النحوي وآل السيد سلمان الحلي وآل الشهرستاني وآل يسين وآل الكواز وآل الطبقجلي وآل المدرس ومن البيوتات كمحمد فيضي الزهاوي والسيد حيدر الحلي والشيخ حمادي نوح والشيخ جابر الكاظمي والسيد حسين العشاري والسيد جعفر الحلي والشيخ محمد الاعسم والشيخ صالح التميمي والملا عمر رمضان البيتي وعلاء الدين الموصلي والشيخ محمد بن النائب والشيخ عيسى البندنيجي والشيخ خالد النقشبندي وغير هؤلاء الاماثل من الاعلام المشاهير ممن يضيق نطاق المجلة عن ذكر اسمائهم ومن جملة من نبغ منهم واشتهر كل الشهرة الشيخ عثمان بن سند البصري المترجم في هذه المجالة

٢ نسبه ومولده وشيوخه واحواله

الشيخ عثمان ابن سند البصري نجدي الاصل من عنزة بصري الموطن ولد في نجد في سنة ١١٨٠ هـ - ١٧٦٦ م ثم سكن البصرة ولما ترعرع وشب قرأ القرآن وتعلم الكتابة ودرس قواعد الاعراب ثم اخذ العلم عن الشيخ محمد بن فيروز النجدي من كبار العلماء النجديين ، وعن البيتوشي وقرأ على الشيخ زين العابدين المعروف بجمل الليل المدني — عند وروده البصرة فبغداد في سنة ١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م — اوائل الكتب الستة واجازه الشيخ المذكور وسلك في الطريقة على شيخ خالد النقشبندي ثم صار مدرساً في المدرسة الرحمانية في البصرة وبقي فيها مدة عمره وكان مالكي المذهب متعصباً جداً ونقل بعض العلماء انه صار في آخر ايامه على العقيدة وهذا غير صحيح لانه تكلم على الوهابية في كتابه (نيل السعود) وذم طريقتهم بل شنع عليهم وهذا الكتاب صنف في السنة الاخيرة من عمره . وقال فيه (اعني المترجم) صاحب حديقة الافراح لازالة الاتراح :هو طرفة الراغب وبغية المستفيد الطالب اه وكان له في اللغة

باع طويل وقوة عارضة حتى قيل انه كان يحفظ كتاب القاموس للفيروزبادي من اوله الى آخره .

٣ : مؤلفاته

الف المترجم كتباً كثيرة غزيرة المادة وقد افاد في بعضها فائدة كلية منها شرح النخبة في اصول الحديث ومنها هنأ الموارد من سلسال مدائح الشيخ خالد (يعني الشيخ خالد النقشبندي) ومنها كتاب منظم الجوهر في مدائح حمير ومنها رسائل في الادب سماها فكاهة السامر وقرة الناظر وكتاب نسمات السحر وروضة الفكر ومن كتبه التي اشتهرت كتاب مطالع السعود في تاريخ داود وهو كتاب يبحث في سير الوزير داود باشا وترجمة حياته وشيوخه ومجيزيه ويحكي عن بعض الوقائع التي وقعت في السنتين الاولى من عمر الوزير المذكور والتي وقعت في ايام حكومته ايضا بين اعراب المنتفق وزبيد والخزاعل (خزاعة) ونجد والاعجام وكعب والاكراد وشمر وعنزة والعبيد وعقيل والدفقعة وغير هؤلاء الاعراب ويحكي ايضا عن محاصرات البصرة وبغداد مبتدئا فيه من سنة ١١٨٨ الى سنة ١٢٤٢ هـ اي ١٧٧٤ — ١٨٢٦ م وهي آخر ايام المؤلف وننقل هنا للقارئ نبذة وجيزة من الكتاب لا تخلو من فائدة وليطلع على فحوى الكتاب قال في المقدمة : « ... وقد كنت وعدت حضرته العلية (يعني داود باشا) تأليف كتاب يتضمن ذكر اوصافه السنية ... وذلك ... في الرابعة والثلاثين بعد المائتين والف ... فاجتمع عندي من ذلك ورقات ونكات هي من حسنات لزمان ... لكنها لما لم ينظم بنيان التأليف سمطها وطال عليها الزمن ذهب منها كل حسن ولكم عاتبني الاديب الاريب ... عبد القادر بن عبد الله الحيدري قاضي البصرة في تأخير تبييض ذلك الموعود المرة بعد المرة واخبرني ان الحاج محمد اسعد المشهور بابن النائب طامح منه عيون الهمم والمطالب الى اخراجه من ادهم السواد ... الى ان ورد على كتاب من بعض من تشرف بحلول انظار سامي الجناب (يعني داود) ... وذلك السابع والعشرون من رمضان ... وما تضمنه الكتاب بعد السلام والعتاب الى ان قال : « لا يخفى على شريف علمكم انه تعلقت ارادة الحضرة العلية ... بوصولكم الى دار السلام لتفوزوا بما يغبطكم به الخاص والعام . » ولما علمت تعلق تلك الارادة بوصولي

الى دار السلام ... اغتربت غارب الارتحال ... ووافق دخولي دار السلام أثنى عشر ذي الحجة الحرام في عام ارخته (داود يمتثل امره) سنة ١٢٤١ هـ... ولما انصرفت من سراياه ... ووصلت الى البيت الذي بوأني اياه ارسل في الحال مالاق من الكسوة واتبعها بعد ايام من الدراهم بجبوة ... فشكرته نظماً ونثراً وخلدت له بهذا الانموذج ذكراً لما علمت يوم دخولي بغداد انه العلة لارسال الكتاب من المواد فدونك ايها الوزير كتاباً لشمائلك عديم النظير ... وابتداء تأليفه اليوم الحادي والعشرون عام احد واربعة بعد المائتين والالف (هجرية) اذ لم يكن فيه كلمة مما في تلك الاوراق بل ولا حرف لما ذكرت من اضمحلال اكثرها ... مرتباً على سنين واعوام اولها عام ولادة ذلك الهمام (يعني داود) مبيناً فيه في كل سنة ماوقع من الاحوال مما احاط به علم مؤلفه من ثقات الرجال... مترجماً للوزراء من سليمان الى سعيد ذاكراً لهم مايليق ذكره في هذا الديوان ولصاحب له ايده الله وخادم ولأناس من علماء مصره الاكارم ممن اطلعت على مواليدهم ونفائس احوالهم ومن مات منهم ذاكراً ما سبق ازمنة وفياتهم..اهـ

وفي هذا الكتاب فوائد تاريخية جمة لانه يمثل للقارئ حالة العراقيين من بدو وحضر في ايام حكومة عمر باشا من سنة ١١٨٨هـ — ١٧٧٤ م ثم حكومة مصطفى باشا ١١٨٩هـ — ١٧٧٥ م فحكومة عبدي باشا في السنة المذكورة فحكومة عبد الله باشا ١١٩٠هـ — ١٧٧٦م فحكومة حسن باشا سنة ١١٩٢هـ ١٧٧٨ م فحكومة سليمان باشا الكبير ١١٩٣هـ — ١٧٧٩م فحكومة علي باشا كتخدا ١٢١٧ هـ — ١٨٠٢ م فحكومة سليمان باشا القتيل ١٢٢١هـ — ١٨٠٦م فحكومة عبد الله باشا الكردي ١٢٢٥هـ — ١٨١٠ م فحكومة سعيد باشا ابن سليمان باشا الكبير ١٢٢٨هـ — ١٨١٣م فحكومة الوزير داود باشا ١٢٣٢هـ — ١٨١٦م. ثم ذكر ما حدث في ايامه من الحوادث على ترتيب السنين الى سنة ١٢٤٢هـ — ١٨٢٦م ويعلم مما تقدم ان معظم الكتاب في اخبار غيره (اعني داود) وهو كذلك لان سيرة الوزير سليمان باشا الكبير والمحاربات التي وقعت في ايامه استوعبت من صفحات الكتاب اكثر مما استوعبته سيرة الوزير داود باشا من الصفحات .

وقد ذكر المؤلف كثيراً من تراجم رؤساء القبائل والفرسان المشهورين وعلماء البصرة وبغداد والاطراف المجاورة لهما ثم ختمه بذكر من قرأ عليهم الوزير واخذ

عنهم واستجازهم وجالسهم واستخدمهم وقد ترجمهم على حسب معرفته بهم واطلاعه على اخبارهم واحوالهم .

والكتاب فى اكثر من ٦٠٠ صفحة بالقطع الكبير وهو لم يتم لان حكومة الوزير داود امتدت الى اواخر سنة ١٢٤٦ هـ — ١٨٣٠ م والمؤلف توفى قبل ذلك باربع سنين ونحو نصف هذا الكتاب شعر هو فى مدح ورثاء وشكر وذم الذين جاء ذكرهم فى الكتاب المذكور واكثره فى الوزير داود ونثر الكتاب كله مسجع على عادة كتاب القرون الوسطى وهى من اقبح العادات وهو خط لم يطبع الى الان ومنه فى بغداد نسختان واحدة فى المكتبة المرجانية واظنها مكتوبة فى ايام المؤلف وبخطه والاخرى فى مكتبة الاباء الكرمليين وقد نقلت على الاولى بقلم ابرهيم افندى بن عبد الغنى الدروبى وكلتاهما بخط جلى صحيح وقد اختصره بعضهم فطبعه على الحجر وخطه امين بن حسن الحلوانى المدنى وطبع هذا المختصر فى بمبى فى المطبعة الحسينية سنه ١٣٠٤ فى ٦٣ صفحة بقطع الربع .

ومن كتب الشيخ عثمان كتاب (سبائك العسجد فى اخبار احمد نجل رزق الاسعد) وهو فى ترجمة حياة الشيخ احمد المذكور من يوم مولده الى مماته كما قاله مؤلفه بعد مقدمة نثرية وشعرية فى المترجم قال فى صفحة ١٣ : « ... وحين قضى لسان حاله من نعت بعض احواله صمم العزم على ما قصد ... من انشاء ترجمته وذكر احواله من مولده لموته ... » . اه .

وقد ترجم فيه ايضاً احوال الرجال الذين جالسوا المترجم وصحبوه وخدموه وكاتبوه وعرفهم وعرفوه من اعيان البصرة ومشايخ الزبارة (١) والبحرين والكويت وبعض اعيان نجد والبلاد العراقية وذكر فيه ايضا القرى والبلاد التى قطنها المترجم وتاريخها فهو ككتاب مطالع السعود السالف الذكر الا انه خال من ذكر الحوادث والوقائع لاغير .

والكتاب نصفه نثر ونصفه نظم ونثره سجع على نهج يورث القارئ الملل والسأم لاول نظرة ينظرها فيه وقد ذيله بذكر تراجم اولاد الشيخ احمد المترجم فبلغ عدد المترجمين فيه ٤٢ فاضلا وهو مطبوع فى مطبعة البيان بمبى سنة ١٣١٥ هـ فى ١١٧ صفحة بقطع الربع .

---

(١) هى قرية من قرى الاحساء اسست بين سنة ١١٨٨ هـ — ١٧٧٤ م وسنة ١١٩٠ هـ — ١٧٧٦ م راجع سبائك العسجد للمترجم صفحة ١٩ .

ومن مؤلفاته نظم قواعد الاعراب ونظم الازهرية ونظم مغني اللبيب ومنظومة في العقائد سماها: «هادي السعيد» ضمنها جوهرة التوحيد وزاد عليها، ونظم النخبة في اصول الحديث وله منظومات في علم الحساب ومنظومة في فقه السادة المالكية وله الصارم القرضاب في نحر من سب الاصحاب نظماً في نحو الفي بيت وهو رد على دعبل الخزاعي المتوفى سنة ٢٤٦ هـ = ٨٦٠ م.

٤ . شعره وافول شمسه

كان الشيخ عثمان من المكثرين في النظم والمطيلين فيه فقد تبلغ القصيدة من نظمه مائتي بيت وفي بعض اشعاره ركة وفي بعضها رقة وجزالة وهذه قليلة ومنها وقد ضمنها كتابه (نيل السعود) قوله في ذم الدهر :

شكوت فما اشكاني الدهر انني ... لفي حيرة من ريبه وصروفه
كأني قرن للزمان محارب ... اذا رمت سلماً سل حمر سيوفه
سقى كل ذي جهل بكأس حياته ... وذا العلم ارواه بكأس حتوفه
فلا تك بدراً كاملا في ضيائه ... اذا تم بدر حان وقت كسوفه

وله ايضاً في ذم الدهر وقد ضمنها كتابه المذكور :

كلما قلت ان دهري يصفو ... ورياح المنى بصفوي تهفو
كدر الدهر بالخطوب اللواتي ... لم يذق لي من قدحها الغمض طرف
فكاني من اعتلالي فعل ... يعمل النصب فيه والجزم حرف
رفعتي ان يقال هذا اديب ... جاع بطناً وفيه ظرف ولطف

وله ارجوزة جمع فيها اقسام الحديث قال بعد البسملة والحمدلة والصلاة :

هذا وما الى نبينا انتهى ... من سنن في الاصطلاح قسمها
لمتواترٍ وللمشهور ... صحيحها والحسن المأثور
وصالح مضعف ضعيف ... مسندٍ المرفوع والموقوف
مرسول المرسل والمقطوع ... ومعضل معنعنٍ مسموع
مؤنمنٍ معاقٍ مدلس ... ومدرج عالٍ ونازل قس
مسلسلٍ غريبٍ العزيز مع ... معللٍ فردٍ وما شذ اتبع
منقلبٍ مدبجٍ مصحف ... وناسخٍ منسوخٍ المختلف
دونكها على اختصار جمله ... لكنها بديعة محكمه

وله من ابيات كتب بها الى الوزير داود باشا وهي من باب الجناس:

صلوا صبكم ان الهوى قاتل له ومنوا عليه بالوصال لكم منا
واسقوه من صهباء تقريبكم له مثلثة تحكى مذاقتها منا
ومنوا بتكليم له حالة الرضا ليرجع بالمن الذى لم يشب منا

الى غير ذلك من اشعاره الكثيرة .

وقد توفى كما هو مذكور فى ظهر كتابه سبائك العسجد فى بغداد سنة ١٢٤٢ هـ = ١٨٢٦ م ودفن فى مقبرة الشيخ معروف الكرخى قرب مرقد زبيدة زوج الرشيد وقد قرأت فى بعض المجاميع انه توفى فى سنة ١٢٤٠ هـ وقال مختصر كتابه مطالع السعود توفى سنة ١٢٥٠ هـ وهما خلاف والاول اصح كما تقدم من تاريخ تصنيف كتابه مطالع السعود ولو كان على زعم الاخير لاتم سيرة الوزير داود واتى بذكر بقية ايامه ولما ترك تصنيفه هذا ناقصاً والله اعلم .

كاظم الدجيلى

الشيخ السكير

Le Vieil Ivrogne.

قطعت من عمرك جل الطريق بمعصيات الله هلا تفيق
تثنيك عن نهج الهوى خمرة كما انثنى عطف القوام الرشيق
خدر اعصابك خمر الهوى فرحت منه فى سبات عميق
ولهان عن غيك لا تنثنى سكران لاتسمع نصح الصديق
هوت بك النفس ولم تعصها الى مكان من هواها سحيق
نبذت ما قد يرتضيه الحجى واخترت من جهلك مالايليق
رفيقك الجهل وكأس الطلا فبئس مااخترت وبئس الرفيق
الى م والعمر انقضى جله وانت لا تصحو ولا تستفيق
يكفيك تجديد المعاصى هوىً يا ايها الشيخ بخمرٍ عتيق
حسبك شيباً قد بدا منذراً انواسع العمر غدا فى مضيق
يا ويح شيخ قد قضى عمره وهو فى بحر المعاصى غريق
يالقى الذى يرشده عابساً وذا الغوايات بوجه طليق
تباً له من بغضٍ مدمن زاغ ضلالاً عن سواء الطريق

ابراهيم منيب الباجه جى